سلسلة نُبَذ (١٣)

عظات روحية

الصلاة

بقلم

البابا شنوده الثالث

الطبعة الثانية

٢٠٢١م

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

قداسة البابا شنوده الثالث في سطور

١- وُلِدَ في ٣ أغسطس ١٩٢٣م، باسم نظير جيد روفائيل. في قرية سَلاَّم بأسيوط.

٢- حصل على ليسانس الآداب – قسم التاريخ – من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا).

٣- التحق بالقوات المسلحة – مدرسة المشاة – وكان أول الخريجين من الضباط الاحتياط سنة ١٩٤٧م.

٤- تخرج من الكلية الإكليريكية "القسم المسائي" سنة ١٩٤٩م، وكان الأول على الخريجين – فعُيِّنِ مُدرّسًا فيها.

٥- عمِلَ مُدَرِسًا للغة الإنجليزية والعربية، في إحدى المدارس الأجنبية.

٦- أتقَنَ الشعر منذ ١٩٣٩م، وكتب كثيرًا من القصائد الشعرية.

٧- في سنة ١٩٤٩م: تَكَرَّسَ للخدمة في الكلية الإكليريكية وبيت مدارس الأحد في روض الفرج بشبرا، وتولى رئاسة تحرير مجلة مدارس الأحد.

٨- صار راهبًا في دير العذراء الشهير بالسريان في ١٨ يوليو ١٩٥٤م.

٩- تمت سيامته بيد البابا كيرلس السادس، أول أسقف للتعليم والكلية الإكليريكية والمعاهد الدينية، باسم الأنبا شنوده في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢م.

١٠- بدأ الاجتماعات الروحية التعليمية منذ سنة ١٩٦٢م، واستمر

فيها حتى نياحته سنة ٢٠١٢م.
١١- أصـــدر مجلة الكرازة في يناير ١٩٦٥م، واســـتمر في تحريرها حتى نياحته سـنة ٢٠١٢م (واسـتمرّ قداسـة البابا المُعَظَّمْ تواضـروس الثاني في إصدارها).
١٢- اختارته السـماء بالقرعة الهيكلية وتمَّ تجليسـه البابا الـــــ١١٧ للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧١م.
١٣- نَمَتْ الكنيسـة القبطية في عهده، داخل مصر وخارجها؛ في كل قارات العالم: أفريقيا وآسـيا وأوروبا وأسـتراليا والأمريكتين: الشـمالية والجنوبية.
١٤- حصـل على تسـعة شـهادات دكتوراه فخرية من كبرى جامعات أمريكا وأوروبا.
١٥- امتدت الكلية الإكليريكية في عهده، وأصـــبح لها ١٦ فرعًا في مصر وخارجها.
١٦- كتب أكثر من ١٥٠ كتابًا في كثير من المجالات الكتابية والروحية، واللاهوتية والعقائدية وفي الخدمة والرعاية والتربية.
١٧- قامَ بسيامة بطريركين لكنيسـة إريتريا و٥ مطارنة و١١٢ أسـقفًا وأكثر من ٢٠٠٠ كاهن و١٠٠٠ راهب.
١٨- قامَ برحلات رعوية ورسمية لكثير من بلدان العالم، وصلت إلى أكثر من ٨٠ رحلة.
١٩- رقد في الرب في ١٧ مارس سـنة ٢٠١٢م ، نيحَ الله نفسـه في فردوس النعيم، ونَفَعْنا بصلواته.

ما هي الصلاة؟[1]

الصـــــلاة في معناها البدائي هي حديث مع الله.. أما من جهة العـاطفـة، فهي رفع القلـب إلى الله. لأن القلـب يتحـدث مع الله بالشــعور والعاطفة، أكثر مما يتحدث اللســان بالكلام. وربما يرتفع القلب إلى الله بدون كلام..

لذلك فإن تنهد القلب صلاة..

وحنين القلب إلى الله صلاة..

وعواطف الحب في القلب نحو الله صلاة..

إن الصلاة بين الإنسان والله هي؛ صلة بين الإنسان والله. إن لم توجد هذه الصلة القلبية فلن ينفع الكلام شيئًا.

الصلاة هي؛ عاطفة حب مع الله. الحب يدفع إليها كسبب، والحب يتمشى فيها باستمرار، والحب أيضًا هو نتيجتها.. لهذا نجد مشاعر هذا الحب ظاهرة في صلوات داود ومزاميره يقول:

"يا الله أنت إلهي، إليك أبكر، عطشت نفسي إليك. التحقت نفسي وراءك. متى أقف واتراءي أمام الله، اشــتاقت نفســي إلى الله، كما تشــتاق الأرض العطشــانة إلى الماء، كشــوق الإيل إلى جداول

---

[1] من عظة لقداسة البابا شنوده سنة ١٩٦٨م، نُشرت بالكرازة في ١٤/١٠/١٩٧٧م

المياه، كذلك اشتاقت نفسي إليك يا الله".

كثيرون يصلون ولا يشعرون بتعزية، لأن الحب غير موجود..

مجرد كلام لا يعزي، قال عنه الرب: "هذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا" (مر ٧: ٦).

إن أردت أن تحدث الله بعاطفة، فتحدث معه بصـــراحة وانطلاق.. بغير تكلف، ولا تحاول أن تتخير ألفاظًا معينة. كلمه كما يكلم الصديق صديقه، والحبيب حبيبه، وكما يكلم الابن أباه..

لأن الصلاة ليست علاقة رسمية..

الصلاة؛ تواضع من الله، الذي يقبل أن نتحدث إليه، وهو رب الكل وخالق الكل، ونحن تراب ورماد.

هو يريدك أن تتحدث معه، متى تشـــاء أنت لا هو.. إنه ينتظرك في كل وقت، لكيما تفتح له قلبك وتكلمه، وأنت ممتنع!!

وتصوروا التراب والرماد، وهو يمتنع عن الكلام مع خالق السموات والأرض غير المحدود! الملك واقف على الباب يقرع، والعبد في الداخل لا يجد وقتًا يفتح فيه للملك!!

إنها كبرياء من الإنســـان، إذ يعتذر بأنه ليس لديه وقت للصـــلاة! ليس لديه وقت يتقابل فيه مع ملك الملوك ورب الأرباب! ربما من محبة الله وتواضعه، أنه أعطى الإنسان فرصة لهذا التدلل!

الصلاة؛ هي فتح القلب لله، لكي يدخل ويطهره. إنها علاج لمشاكل

الإنسان الذي لا يعتمد على ذراع بشري...
عليها يعتمد الإنسان، الذي لا يتكل على جهاده الخاص وقوته، في أي عمل من أعماله العامة أو الروحية، حتى في توبته ورجوعه إلى الله وفي ذلك قال مار إسحاق: "من يظن أن له بابًا آخر للتوبة غير الصلاة، فهو مخدوع من الشياطين".

الصلاة هي إدخال لله في كل موضوع وفي كل مشكلة.

تشعر بها أنك لست وحيدًا في الحياة، وإنما هناك من يسندك، ومن يقف معك. ومن هنا فإن الصلاة تجلب السلام والاطمئنان. وبها يتأكد الإنسان أن مشاكله قد تسلمتها يد أمينة قوية، تديرها كما ينبغي. إن كانت مشاكلنا ما تزال قائمة، فربما هذا دليل على أننا لم نعرف كيف نصلي.

عندما تصلي من أجل مشكلة، إما يحل الله المشكلة وتنتهي. وإما أن تبقى، ويعطيك سلامًا في قلبك من جهتها. وهذا أيضًا لونًا من حل المشكلة.

المشكلة موجودة، ولكنك غير متضايق منها، لا تحس وجودها. وأصبحت لا تشعر بأنها مشكلة.. إنها فاعلية الصلاة.

كيف تكون الصلاة؟[٢]

ما هي الصلاة، وكيف تكون؟

الصـــــلاة هي أرقى ما في الروحيات. وكل أعمالنا الروحية من المفروض أن تقودنا إلى الصلاة، وأن تكون مصحوبة بالصلاة.

وإذا وصـلنا إلى الصـلاة بمفهومها الحقيقي، نكون قد وصـلنا إلى علاقة حقيقية مع الله. نســـتطيع حينئذ أن نُبطل كل عمل، ونبقى في الصلاة وحدها، وكفى..

ليست الصلاة فرضًا، وليست مجرد أمر من الله أو وصية علينا أن ننفذها، على الرغم من وجود وصايا كثيرة خاصة بالصلاة، وليست هي اضطرارًا ولا إرغامًا... إذن ماذا تكون؟

الصلاة – ببساطة – هي علاقة حب مع الله..

إنسـان يحب الله. ومن محبته له، يريد أن يكلمه باسـتمرار.. وبكثرة الحديث معه، توجد عشـرة، وصـداقة، ويتعمق الحب، ويتعمق في الصـــلاة بالأكثر.. يدخل إلى أعماق الله، ويدخل الله إلى أعماقه، وتتقدم الصلاة خطوة أخرى..

في الأول، كان الإنسـان في الصـلاة يتكلم مع الله.. ثم صـار الله

---

[٢] الكرازة ٧ /١٩٧٨/٤م

يتكلم أيضًا معه، يتحدث في قلبه.

يرشده، يقوده، يملؤه من المشاعر الروحية، يوحي إليه بمعان جديدة لعبارات الصـــلاة، ومعانٍ جديدة لآيات الكتاب ما كانت تخطر له من قبل. وصدق الشيخ الروحاني حينما قال:

"**سكت لسانك، ليتكلم قلبك.. وسكت قلبك ليتكلم الله**".

كان القديسـون يصـمتون، ليس خوفًا من أخطاء اللسـان، فأفواههم كانت مملوءة حكمة وبركة. وإنما كانوا يصـمتون لتكون لهم فرصـة أطول للكلام مع الله. وفي الكلام مع الله كـانـت متعتهم الروحيـة، لذتهم وشـــهوة قلوبهم. لذلك فإن القديس أرســـانيوس معلم أولاد الملوك، حينما سـأله القديس مكاريوس الإسـكندراني: "لماذا تفر منا يا أبتاه؟"، أجابه: "يعلم الله أنني أحبكم جميعًا. ولكني لا أســـتطيع أن أتحدث مع الله ومع الناس في نفس الوقت".

لذلك يقول بعض آباء الرهبنة: "الشـخص الكثير الكلام، يدل على أنه فارغ الداخل".. والمقصـــود بعبارة (فارغ من الداخل)، أنه – أثناء كلامه – لا يوجد في داخله عمل روحي مع الله. لقد شـــغله الكلام عن العمل الجواني، عن العمل الروحي الخفي السري، داخل القلب..

هذا الإنســـان المشـــغول في الأحاديث العالمية، ليس لديه وقت

للحديث مع الله، الله يدعوه إلى التحدث معه فيجيب:
"**اذهب الآن، ومتى حصل لي وقت، استدعيك**"!!
ما أعجب الذين يعتذرون عن الصـــلاة، بأنه ليس لديهم وقت!! بينما يضـيع الكثير من وقتهم في أمور تافهة لا تفيدهم شـيئًا: في مناقشـــات غبية، وفي مجادلات وتســـليات وثرثرة، وفي الأخبار والتعليق عليها، وفي التسليات.. وربما يضيع وقتهم في خطايا..
ليتهم يوفرون جزءًا من وقتهم الضائع، للصلاة..
من الصعب أن يدعي إنسان بأنه ليس لديه وقت للصلاة. والأجدر أن يقول في صـراحة إنه ليسـت لديه رغبة. لأنه إن وجدت الرغبة والإرادة، فلا بد أن يوجد الوقت..
إن الدافع الحقيقي للصلاة، هو الرغبة في الوجود مع الله.
إنه الاشـتياق إلى الله، كما يقول داود النبي: "كَمَا يَشْـتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْـتَاقُ نَفْسِـي إِلَيْكَ يَا اللهُ.. عَطِشَـتْ نَفْسِـي إِلَى اللهِ.. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ اللهِ؟" (مز ٤٢: ١، ٢).
إنسان لا يحتمل أن تمر عليه فترة غربة عن الله..
إن مر عليه وقت لم يتحدث فيه مع الرب، يشـعر بحنين شـديد في داخله، يلح عليه بقوة أن يركع ويرفع يديه إلى فوق، أو على الأقل يرفع قلبه إليه. بأي وضع...

هل جربتم الحنين إلى الله؟ هل ذقتم حلاوة الصلاة التي ليست هي كلامًا، وإنما حب؟ هي حركات في القلب، حتى بدون أية حركة من الشفتين.

صلاة الحب هذه تتميز بأنها لا تُحَارب أبدًا بالملل..

قد يستمر الوقت بالساعات، كحبيب اختلى بحبيبه، أو صديق يناجي صديقه، دون أن يشعر بالوقت..

إن وصلت إلى هذا الوضع، سوف لا تحتاج أن تتعلم كيف تصلي. بل ستفتح قلبك، ويعلمك الروح كل شيء..

وكما سُئل أحد القديسين: "كيف أتعلم الصلاة؟ فأجاب: "بالصلاة".

الصلاة حينئذ ستكون مدرسة، تعلمك الحياة مع الله. وإن وصلت في حياتك مع الله إلى هذه الصداقة والألفة، حينئذ ستتكلم معه بكل صراحة وبغير كلفة" ستعرف معنى "الدالة مع الله"..

إن مشكلتنا الأولى في الصلاة، إن الله بالنسبة إلينا ليس في مركز القلب..

أننا نتحدث إليه، كما لو كان بعيدًا عنا، أو كما لو كان غريبًا عنا. علاقتنا به ما تزال في نطاق الرسميات وليس الحب.

وهنا نقف أمام سؤال جوهري، يفرض نفسه علينا.

هل محبتنا لله تعلمنا الصلاة؟ أم أن الصلاة توصلنا إلى محبة

الله؟ وبأي الاثنين نبدأ؟

إن كنت قد وصلت إلى محبة الله، فلا بد أنك ستصلي صلوات مملوءة بالحب. وإن لم تكن قد وصلت إلى هذه الدرجة، فاطلب في صلاتك أن يمنحك الله محبته، يسكب محبته في قلبك بالروح القدس. صل وإن كنت لا تحب، واطلب المحبة بلجاجة.

فإن الصلاة مفتاح لكل الفضائل؛ بها تطلب من الله أن يدخل في حياتك، وأن يقود هذه الحياة في طريق سليم..

الصلاة تُدخلك في حياة الشركة مع الله..

إن كان الرب قد قال: "بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئًا"، فيجب إذن أن تتأكد من أن الله يشترك معك في كل عمل، بل أيضًا في كل فكر، وفي كل شعور، وفي كل حركة. هذا لا يأتي إلا بالصلاة لكي تُظهر للرب رغبتك في اشتراكه معك، وتحيا في هذه الشركة المقدسة..

بهذا لا تكون الصلاة عملاً روحيًا تقوم به في وقت معين، إنما تُدخل الصلاة في كل عمل من أعمالك.

وهكذا تصلي في كل حين ولا تمل، وتدخل في حياة الصلاة، لكي يدخل الله في حياتك، بكل تفاصيلها.

ثم تتدرج إلى خطوة أخرى فلا تطلب الله كمعين يعينك في كل

عمل تمتد إليه يدك، إنما تطلبه لذاته.

فالإنسان القديس- حينما يصلي- لا يطلب من الله شيئًا، وإنما يطلب الله نفسه، وكما قال داود النبي: "طلبت وجهك، ولوجهك يا رب التمس. لا تحجب وجهك عني".

كلما تزداد محبة الإنسان لله، حينئذ تصغر قيمة كل الأشياء في نظره، ويحسبها كنفاية. وحينئذ يصبح الله بالنسبة إليه هو الكل في الكل، ولا تعود له شهوة أخرى سوى الله، ويخجل في صلاته من طلب أي شيء آخر، بل أنه يقول مع المرتل: "وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئًا فِي الأَرْضِ" (مز ٧٣: ٢٥).

حينئذ تصبح الصلاة بالنسبة إليه هدفًا لا وسيلة.

هو لا يصلي ليطلب، إنما يصلي لأن الصلاة هي لذته وشهوته ومتعته بها يشعر بالوجود في حضرة الله، وهذا أيضًا يكفي. وبالصلاة ينقله الله إلى جو من المشاعر الروحية، فيحس وكأنه في السماء وليس على الأرض، ويختبر ما أسماه القديسون (مذاقة الملكوت) فيذوق وينظر ما أطيب الرب.

لذلك آباؤنا القديسون فضلوا الصلاة على كل عمل آخر..

ومن أجل الصلاة تركوا شيء وانفردوا بالله.

ولم يصلوا من أجل احتياجهم إلى شيء. وإنما من أجل محبتهم

لله. وكانت محبة الله تشبعهم، ومعها لا يعوزهم شيء..

ليتنا إذن نبدأ بهذا شعور النفس باحتياجها إلى الله..

شـــعورها بأنها بدون الله في فراغ. وفراغ مؤلم قاس، لا يمكن أن يملأه إلا الله ولهذا تلجأ النفس إلى الصلاة كتعبير عن محبتها لله، وكإشباع للشوق الذي يلهبها من الداخل..

حينئذ لا نقول إن الله يطالبنا بأن نصـــلي، وإنما رغبة قلوبنا واحتياجها إلى الله، تدفعنا إلى الصلاة، لنتمتع به..

وبهذا، فإننا في الصـــلاة لا نقدم لله طلباتنا، وإنما نقدم قلوبنا، نقدم مشاعرنا وعواطفنا وحبنا.

وتكون الصلاة انسحابًا من العالم، وارتماءً في أحضان الله.

وتكون شـــعورًا بأن العالم لم يعد يشـــبعنا بكل ما فيه، لأن أرواحنا تجد شـــبعها بعيدًا عن العالم، في الله وحده في خلوة معه، حيث تنحل من كل شـــيء، لكي ترتبط به وتنســـي كل شـــيء، ولا يبقي ذهنها سواه كما قال الرسول: "تركنا كل شيء وتبعناك".

هنا حقًا نحس عمق عبارة القديس الذي سألوه:

"**ما هي الصلاة؟**" **فأجاب** "**هي الموت عن العالم**".

إن ماتت نفوســـنا عن العالم، حينئذ تحيا بالله، وحينئذ تعرف كيف تصلي.. وتكون صلاتها بلا طياشة فكر.

إن طياشـــة الفكر أثناء الصـــلاة، دليل على أن المصـــلي ما يزال مرتبطًا بالعالم بطريقة ما ودليل على أن بعض أمور العالم ما تزال لها أعماق في النفس، والنفس تهتم بها، والفكر مرتبط بها..

بل أن هذه الطياشـــة دليل على إن الله لم يملك العقل بعد، وهناك ما يشاركه فيه..

"أيها الآب السـماوي، ليأت ملكوتك.. انظر يا رب إلى هذا القلب، وطهره من كل فكر غريب، لكيما يصـــبح كله لك... امنحنا وقت الصـــلاة فكرًا نقيًا، لا يتشـــاغل عنك بشـــيء. امنحنا الحب الذي يحرق كل الإهتمامات الأخرى. وتبقى أنت وحدك".